السر وراء ازدواجية الموقف السوداني

النميري : اين حقوق الشعب الفلسطيني

قبل ايام اعلنت الحكومة السودانية رسميا تأييدها الكامل لاتفاق كامب ديفيد وحصرت تأييدها العلني في الموقف المصري ، حيث جاء في البيان ما يحمل الولايات المتحدة « وحدها » !! مسؤولية ما اسماه البيان « بالابهام والغموض » الوارد في « اتفاقات كامب ديفيد » ، واغفل في الوقت ذاته الحديث من بعيد او قريب عن الموقف الصهيوني .

السودان هو ثاني دولة عربية تعلن تأييدها الصريح والرسمي لما جاءت به اتفاقات كامب ديفيد ، فقد سبقته الى ذلك سلطنة عمان التي يبدو ان علاقاتها الاستراتيجية مع النظام الايراني كانت من العوامل التي دفعتها الى ذلك .

لكل شيء ثمنه

من المؤكد ان طبيعة النظام السوداني ، وعلاقاته الدولية والعربية هي التي املت عليه اتخاذ مثل هذا الموقف ، الذي لم يذهب سدى ، فقد سبق الافصاح عن الموقف ، اخبار تناولتها الصحف تحدثت عن مشروع ستنفذه احدى الشركات المختلطة التابعة للسوق الاوروبية المشتركة ، تبلغ تكاليفه ٩ ملايين وحدة حسابية اوروبية (حوالي ١١ مليون دولار) من اجل تحسين شبكة السكك الحديدية التي يبلغ طولها ١٩٤ كلم وتربط بين « بابانوسا » و « ابو زاهاد » . وفي جولته الاخيرة بوصفه رئيسا لمنظمة الوحدة الافريقية زار النميري المانيا الغربية وجاء في تصريحاته التي ادلى بها في اعقاب الجولة ما يشير الى انها انصبت على طلب المعونات الاقتصادية وانه حصل على شيء مما اراده . بالاضافة الى ذلك ، هناك معونه قدرها ٧ مليون دولار من اجل شراء نظام للنقل عن طريق الحبال للاستخدام في مشروع الاسمنت في « عطبرة » وتشرف على انشائه شركه بريطانيه تدعى British rope way engi necring company (Brec)

اهم من ذلك ، كان اجتماع اللجنة الامريكية - السودانية المشتركة من اجل مناقشة المشروعات الممكن اقامتها في السودان ، وكان على جدول اعمالها مناقشة اجتماع المجلس التجاري السوداني - الامريكي الذي سيعقد في كانون الثاني ، ومن المعروف ان هذا المجلس قد شكل في آب ١٩٧٧ ، وتجدر الاشارة الى ان شبكة اتصالات بين السودان وامريكا سوف تقام ، وان الاتفاقين بشانها قد تم التوقيع عليها قبل في مطلع هذا الشهر .

من الطبيعي ان هذه الاتفاقات ليست الثمن المباشر للموقف السوداني من الاتفاقية ، وفي الوقت ذاته ليس الموقف هو المقابل الوحيد الذي اعطته الحكومة السودانية . بل هو محصلة تراكمات لتطور العلاقة التي باتت تحكم الخرطوم بواشنطن وسائر العواصم الغربية ، والتي ادت في نهاية المطاف الى هذا « العطايا المتبادلة » .

خطورة الموقف السوداني

لا تقف حدود السياسة الخارجية السودانية عند محيط تأييد اتفاق « كامب ديفيد » بل تتسع ايضا لتوافق على حضور قمة بغداد الذي سيعقد في مطلع الشهر القادم . والاتجاه نحو بغداد لم يكن مرتجلا ، بل يحمل في احشائه اهدافا محددةيسعى الوصول الى نيلها . وقد مهد لها السودان في ذات البيان الذي اعلن فيه تأييده « لكامب ديفيد» ، فهو بعد ان يشير الى « التضحيات الكبرى التي قدمتها مصر للقضية العربية » وهذا حق ولا يمكن الا ان تقدره فصائل الثورة والجماهير العربية ، التي تدرك ان تلك التضحيات هي من شيمةوتقاليد الجماهير المصرية والنظام الناصري الذي لا تمت اليه سياسة السادات بصلة . بعد ذلك يحاول ان يجير هذه « التضحيات » من اجل عدم توجيه « النقد للجهود التي تبذلها مصر من اجل التوصل الى سلام يؤدي الى انسحاب اسرائيل الى ما وراء الحدود التاريخية والدوليه لمصر ، والى الغاء المستوطنات الاسرائيليه في سيناء في اطار ضمان للسلام والامن ، وفي اطار المبادىء العامة الرامية الى اتفاق نهائي وكامل » .

لذا فالحضور الى بغداد ليس مبعثه تاكيد الشروط التي جاءت في الدعوة التي تقدم بها بيان القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي ، ولا من اجل « انتشال السادات » من مستنقع الخيانه ، وانما من اجل جر مؤتمر بغداد - اذا استطاعت السودان الى ذلك سبيلا - الى مستنقع كامب ديفيد ، او لتمييع القرارات التي يمكن ان يتمخض عنها المؤتمر على أقل تقدير .

والنميري يدرك سلفا انه لن يكون الوحيد في مؤتمر بعداد الذي يحمل مثل هذه الاحلام ، فهناك الدول الخليجية بزعامة السعودية التي تريد تليين مواقف المؤتمر وتسعى لافراغه من الطموحات التي يريد الوصول اليها . والامر لا يفتقد على ذلك ، فالبيان التاييدي لخطوات النظام المصري ، فيه تغافل واضح ومتعمد عن الاشارة الى حقوق الشعب الفلسطيني التاريخية ، حيث تقف حدود التأييد عند « اطراف سيناء والحدود التاريخية والدولية لمصر » وفيما عدا ذلك - بالنسبة للسودان - مسألة اخرى .

ان جماهير الشعب السوداني كفيلة بمواجهة هذه السياسة الخيانية لنظام الخرطوم بوصفها الطرف المباشر في الصراع على الصعيد القطري الداخلي ، لكن من حق بل ومن واجب الجماهير الافريقية وبالذات العربية منها ، ان تقف في وجه سياسة النميري بوصفه خائنا لطموحات الجماهير العربية والسودانية التي ترفض اتفاقات كامب ديفيد الخيانية .

لعبة كسب الوقت الغربية في ناميبيا

فشلت الدول الغربية الخمس في اقناع حكومة جنوب افريقيا العنصرية بالتراجع عن قرارها بشان اجراء انتخابات في ناميبيا ، في شهر كانون الاول (ديسمبر) القادم، بمعزل عن اشراف الامم المتحدة . وبرغم هذا الفشل فان الديبلوماسيين الغربيين العائدين من بريتوريا حاولوا اعطاء صورة مضللة عن نتائج مباحثاتهم هناك ، وزعموا ان ثمة تقدما قد حصل . لكن وراء تصريحاتهم المخادعة كان يكمن حرص على تجنب تحرك للدول الافريقية والدول المؤيدة لها ، من اجل فرض عقوبات اقتصادية على جنوب افريقيا .

فمن بعد مفاوضات استمرت ثلاثة ايام مع الحكومة الجنوب افريقية ، عاد ممثلو الدول الخمس - الولايات المتحدة ، بريطانيا ، فرنسا ، المانيا الغربية وكندا - صفر اليدين ، وفي ظروف تنبىء بأكثر من الوصول الى الطريق الديبلوماسي المسدود بشأن ناميبيا . فالدول الغربية نفسها ، التي تسعى منذ وقت طويل من اجل استقلال « سلمي » لناميبيا ، من اجل نزع فتيل الثورة المسلحة هناك، تدرك بان مضي حكومة بيتر بوثا الجديدة في مخططها « لتسوية داخلية » في ناميبيا خارج الامم المتحدة وبمعزل عن منظمة شعب جنوب غرب افريقيا (سوابو) ، لن يؤدي سوى نتيجة واحدة: تصاعد الكفاح المسلح لثوار سوابو ، وفي الوقت الذي تسير في التطورات بأتجاه اشتداد حدة الموقف العسكري في روديسيا .

ولكن مبعوثي الدول الغربية الخمس في ضوء نية التحرك الافريقية ومضاعفاته ، قرروا عدم الاعتراف بفشل محادثاتهم في بريتوريا ، والزعم بان بريتوريا قد ابدت استعدادا لشيء من « المرونة » في كونها وافقت على اجراء جولة اخرى من المحادثات مع المبعوث الخاص للامين العام للامم المتحدة كورت فالدهايم ... ولكن بين هذا الزعم والحقيقة لعبة مخادعة تلعبها الدول الغربية. فقد كان المبعوثون الغربيون وعلى رأسهم سايروس فانس وديفيد اوين ، هم من قدم تنازلا لبريتوريا، وهم يحاولون الان منحها مكسبا ديبلوماسيا ومقابل ... لا شيء . فأزاء اصرار حكومة بريتوريا على خطتها باجراء الانتخابات في ناميبيا تحت اشرافها وتحت سيطرة قوات الجيش الجنوب افريقي هناك ، اقترح المبعوثون الغربيون ان يغض الغرب النظر عن هذا الاجراء الجنوب افريقي الذي يتعارض وخطة الامم المتحدة لتسوية مشكلة استقلال ناميبيا ، على ان توافق بريتوريا من جهتها على اجراء جولة اخرى من المفاوضات مع المبعوث الخاص للدكتور فالدهايم ! - اكثر من ذلك ، طلب المبعوثون الغربيون من الحكومة الجنوب افريقية على الموافقه على اجراء انتخابات باشراف الامم المتحدة في السنه القادمة ، بعد انتخابات كانون الاول القادم ، حتى لا تبدو هذه الانتخابات بديلا عن تلك المقترحه من الامم المتحدة وقد حرص هؤلاء المبعوثون على تضمين البيان المشترك ان الدول الغربيه ستواصل رفضها الاعتراف بالانتخابات التي ستجريها جنوب افريقيا في ناميبيا ، وان هذه الانتخابات برأيها ، يجب ان لا تحدث ردة فعل دولية كما كان محتملا ان يحصل ...

ان بريتوريا لم توافق حتى على اقتراح اجراء انتخابات كانون الاول القادم ، حتى لا تبدو هذه في السنة القادمة . بل ان اكثر ما « قدمته » هو وعد بيتر بوتا بان تعمل حكومته من اجل اقناع

قائد منظمة سوابو نجوما : كيف سيكون الرد على العنصريين ؟

القادة الداخليين الذين سيتم اختيارهم في انتخابات كانون الاول القادمة ، « للتعاون » مع الامم المتحدة ... وهذا الكلام تدحضه حقيقة ان السلطة في ناميبيا هي سلطة تنبع من بريتوريا ، وليس من وندهويك (عاصمة اقليم ناميبيا) ، وان هذه الحقيقة القائمة ستبقى مهما كانت نتائج هذه الانتخابات ، التي لن تجري سوى بدمى افريقية تتحرك من بريتوريا . والوعد الجنوب افريقي ليس سوى موارية لتجنب الاضطرار الى الموافقة على الاقتراح او رفضه . واضافة الى ذلك فان موافقة بريتوريا على اجراء جولة محادثات اخرى مع المبعوث الخاص للامم المتحدة ليس تنازلا ولا دليلا على اية مرونة ، بل مجرد المشاركة في لعبة المخادعة وكسب الوقت .

لقد اتفقت بريتوريا مع المبعوثين الغربيين على الاختلاف في كل شيء ، وعلى الحاجة ، حاجة الجانبين الى الابقاء على ظاهرة « المفاوضات المستمرة » . ويعود ذلك الى تهديد افريقي مدعوم من دول في الكتلة الاشتراكية في الامم المتحدة ، بالطلب الى مجلس الامن بفرض عقوبات اقتصادية على جنوب افريقيا بسبب موقفها من استقلال ناميبيا ، خاصة فرض حظر النفط عليها . وقد وجهت الدول الغربية الخمس في البيان الذي اصدرته في اعقاب المفاوضات مع بريتوريا ، طلبا الى الامم المتحدة تحثها فيه على تجنب مواجهة آنية مع جنوب افريقيا ، رغم فشل هذه الدول على استحصال موافقة بريتوريا على خطة الامم المتحدة لاستقلال ناميبيا ، وعلى تأجيل اخر ، في طلب عقوبات اقتصادية تفرضها الامم المتحدة على جنوب افريقيا . فالى جانب ما يمكن ان تلحقه بها مثل هذه العقوبات لو فرضت عليها ، فان هذه الدول الغربية الخمس ذات العلاقات الحيوية مع الكيان العنصري الجنوب افريقي تريد ان تتجنب قدر الامكان ، وضعا يضطرها الى اختيار موقع من الموقعين ، في حال محاولة اقرار فرض عقوبات اقتصادية ضده .

ان الدول الغربية الخمس تلعب الان ولصالح جنوب افريقيا ايضا ، لعبة كسب الوقت . ولا شك انها تراهن على تجربة بريتوريا لتحقيق « تسوية داخلية » عبر الانتخابات ، تصبح امرا واقعا لا بد من التعامل معه ، بالضبط كما تفعل اليوم حيال روديسيا ، حيث اصبح اطراف « التسوية الداخلية» هناك ، طرفا من عدة اطراف ، بالنسبة للغرب . من هنا ، وكما في روديسيا فان خطوة اجراء الانتخابات في ناميبيا بمعزل عن الامم المتحدة ومنظمة سوابو ، هي خطوة عنصرية باتجاه « التسوية الداخلية » هناك . وهي تحدي جنوب افريقي مباشر ليس للامم المتحدة او للحول الافريقية فحسب ، بل لمنظمة سوابو بالدرجة الاولى . وهي التي سيعتمد عليها نجاح العنصريين البيض في تقرير شكل ومضمون « استقلال » ناميبيا او فشله .